الظاهرة الإرهابية وأجيال الحروب الجديدة: العلاقة التفاعلية

The terrorist phenomenon and the new generations of wars: the interactive relationship

أسامة إفراح

جامعة إبراهيم سلطان شيبوط، الجزائر 3 (الجزائر)

ifrah.oussama@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/20 تاريخ القبول للنشر: 2021/11/17 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص: *شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة تغيرات عميقة في شكل وتركيبة الحروب والنزاعات المسلحة، وظهر ما يسمى "الحروب الجديدة" و"حروب الجيل الرابع" و"الخامس"، ولعلّ من أسباب ذلك، إلى جانب التحوّل الذي عرفه النظام الدولي، ظاهرة العولمة وما رافقها من ثورة تكنولوجية. كما تداخلت وتماهت الخطوط الفاصلة بين الحرب والسلم، والمقاتلين والمدنيين، إلى جانب تنامي دول الفاعلين خارج الدولة. ومن هؤلاء الفاعلين التنظيمات الإرهابية، فقد تم تدويل الإرهاب، وفق إستراتيجيات وتكتيكات حربه اللاتماثلية، ما خلق علاقة تفاعلية بين الظاهرة الإرهابية والحروب الجديدة، بحيث تؤثر الأولى في الثانية، والعكس، وهي العلاقة التي يحاول هذا المقال دراستها، والتعمق في الطروحات الجديدة حولها.*

الكلمات المفتاحية: *الإرهاب، الحروب الجديدة، حروب الجيل الرابع، حروب الجيل الخامس، الأمننة، إستراتيجية.*

Abstract*: The post-cold war period witnessed profound changes in the form and structure of wars and armed conflicts, and the emergence of the so-called "new wars", "fourth and fifth generation wars", and, in addition to the transformation of the international system, the phenomenon of globalization accompanied by the technological revolution could be one of the reasons for these changes. The lines overlapped and blurred between war and peace, combatants and civilians, while the role of non state actors has grown. Thus, terrorism has been internationalized, according to the strategies and tactics of its asymmetric war, which created an interactive relationship between the terrorist phenomenon and new wars, so that the first affects the second, and vice versa. This relationship is what the article attempts to study.*

key words: *Terrorism; New wars; 4th generation warfare; 5th generation warfare; Securitization; Strategy.*

1.مقدّمة:

تميزت فترة ما بعد الحرب الباردة بتغيرات بالغة الأهمية، ليس فقط من حيث الانتقال من الثنائية القطبية إلى نظام دولي أحادي القطبية، وإنما من حيث الفكر الاستراتيجي، الذي لطالما تأثر بأفكار الحروب التقليدية، على الرغم من أن هذه الأخيرة انزاحت شيئا فشيئا تاركة مكانها لحروب مختلفة من حيث الفواعل، والقوة، وشدة التدمير، والوسائل، والتكتيكات، والأهداف، واتساع الرقعة.. باختصار، هي حروب تكاد تكون مختلفة في كل شيء.

ولما كانت التنظيمات الإرهابية من بين هذه الفواعل غير الدولية التي صارت تلعب دورا محوريا في الحروب الجديدة، جاء هذا المقال ليحاول تسليط الضوء على العلاقة بين كل من الظاهرة الإرهابية من جهة، والحروب في شكلها الجديد من جهة ثانية.

الإشكالية: ولمعالجة هذا الموضوع، ارتأينا طرح الإشكالية التالية: ما هي ملامح وطبيعة العلاقة،- إن وُجدت-، بين الظاهرة الإرهابية وحروب فترة ما بعد الحرب الباردة؟

المناهج: واعتمدنا في هذا المقال على المنهج التاريخي، نظرا إلى ضرورة الاستعانة بالتاريخ لدراسة الأفكار الاستراتيجية من جهة، وسوابق الظاهرة الإرهابية من جهة أخرى. كما اعتمدنا على المنهج المقارن، خاصة وأن هذف المقال هو التعرف على طبيعة العلاقة بين كل من الإرهاب والخرب.

كما قسم المقال إلى محاور ثلاثة، جاء أولها ليدرس إشكالية تعريف الإرهاب، التي تفتح الباب على مصراعيه لتوظيفه في الحروب، وفي محور ثان تطرقنا إلى أشكال الحروب الجديدة وبعض مبادئها، أما المحور الثالث فجاء ليجمع بين المحورين الأولين ويدرس العلاقة بين الإرهاب والحروب الجديدة.

2. إشكالية تعريف الظاهرة الإرهابية

تتّسم إشكالية تعريف الظاهرة الإرهابية بقدر كبير من الأهمية، باعتبار أن غياب تعريف جامع وواضح فتح الباب أمام التأويلات السياسية حسب مصلحة كل طرف.

1.2 القصور السياسي في تعريف الإرهاب:

يعتبر القصور لأسباب سياسية أحد أهم العوائق أمام اقتراح تعريف متفق عليه للإرهاب، وسواء كان هذا القصور متعمّدا أو لا، فإن الدارس لهذه الظاهرة يلاحظ نتائجه بشكل مطّرد، حيث يكاد يغيب الإجماع لا بين مختلف الدول فحسب، بل داخل الدولة الواحدة.

ليست جديدة محاولات تعريف الظاهرة الإرهابية، الضاربة في القدم، والتي تتسم بالتعقيد وعدم الثبات، والتداخل بينها وبين مفاهيم مشابهة كالتطرف، والعنف، والعنف السياسي، والجريمة المنظمة، وحتى حركات المقاومة. بالمقابل، لم تنجح هذه المحاولات في الإحاطة بكلّ سمات الظاهرة ومكوناتها، ما يقف حجر عثرة في استراتيجيات مواجهتها. ولا تكمن المعضلة في وفرة التعاريف أو الإحجام على تقديمها، بل في وفرتها

دون وفائها بالغرض القانوني، وحتى هذه الأخيرة، في معظمها، مفتقرة إلى "الغموض الضروري للقبول السياسي" (راشد، 2006)

وعلى غرار بعض العبارات الأخرى، فإن مصطلح "إرهاب" يتّسم بنوع من التضخّم في الاستعمال والتوظيف، يبدو أنه تضخم غير بريء: حيث هناك رهانات سياسية جلية تختبئ وراء قرار تصنيف فعل ما إرهابيا دون أفعال أخرى (Mellon, 2005).

وتتعدّد تعريفات الإرهاب بتعدد القوانين الداخلية للدول، وحساباتها السياسية، وأحلافها وتكتلاتها الإقليمية. على سبيل المثال، تُدرج كتابة الدولة بالولايات المتحدة الأمريكية في تعريفها للإرهاب عنصرًا بعيدًا عن التوصل إلى توافق في الآراء، لأنه يأخذ في الاعتبار الوضع القانوني والسياسي للفاعلين: فقط العنف الذي يرتكبه الفاعلون من غير الدول هو "الإرهاب". حيث نقرأ أن الإرهاب، وفقًا لكتابة الدولة الأمريكية، هو "عنف متعمد بدوافع سياسية ترتكب ضد أهداف غير مقاتلة من قبل مجموعات دون وطنية أو عملاء سريّين، بهدف التأثير عمومًا على الجمهور" (Mellon, 2005).

ويمكن اعتبار إضافة مثل هذه الدقة تجاهلا لحقيقة أن الدول، في بعض الأحيان، تنفذ سياسات إرهابية، إما ضد سكانها أو ضد السكان الذين تحتل أراضيهم، كالتعذيب والإخفاء والترحيل والاعتقالات التي هي جزء من استراتيجيات إرهابية أكثر من كونها قمعية فحسب، كما أن إقامة صلة وثيقة بين توصيف الفعل العنيف والوضع القانوني لمن يرتكبه يسيء إلى المنطق والمعنى الأخلاقي، فإذا قامت مجموعة من المسلحين بقتل سكان قرية، فهل يجب أن يتغير تصنيف هذه الجريمة بالاعتماد على إن كان هؤلاء المسلحون يرتدون زي الجيش النظامي أم لا؟ (Mellon, 2005).

وفي ذات السياق، يلاحظ شميد Schmid أنه بين عامي 1982 و 2004، تغير تعريف كتابة الدولة الأمريكية سبع مرات. كانت هذه التغييرات، بشكل عام، طفيفة ولكنها لم تكن بلا معنى (Schmid, 2011, p. 44).

وخلص شميد إلى أن هذا التعريف للإرهاب، على الرغم من إيجازه، لا يمكن أن يخدم كنموذج لتعريف العلوم الاجتماعية للإرهاب، وذلك للأسباب التالية (Schmid, 2011, p. 49):

- تغير صياغته عدة مرات مع تغير الظروف.
- تغير تفسير كلمة "غير مقاتل" بمرور الوقت.
- تركيزه على "العنف السياسي" من ناحية ضيق للغاية (فيما يتعلق "بالسياسة") ومن ناحية أخرى واسع للغاية (فيما يتعلق "بالعنف").
- استبعاده للعنصر النفسي المتمثل في "الخوف" المفرط، خاصة بعد حذف الإشارة إلى "النية للتأثير على الجمهور"، أزال جوهر مفهوم الإرهاب.
- يجب أن يُنظر إلى غياب عناصر "التهديد" و "التخويف" على أنه من أوجه القصور.
- يستثني إرهاب الدولة ولكنه، إلى حد ما، يدخله خلسةً من الباب الخلفي بالإشارة إلى "العملاء السريين"، والتي يمكن استخدامها لتشمل الأنشطة الخارجية لحكومات معينة، ولكن ليس كل تلك التي توظف "عملاء سريين" لأعمال إرهابية.

- الإرهاب المحلي من قبل أجهزة الدولة في ظل الأنظمة القمعية غير معترف به في هذا التعريف.

ونشير هنا إلى أن شميد، في دراسته هذه، لم يقدم ملاحظاته على تعريف الإرهاب لدى كتابة الدولة الأمريكية فقط، بل سلّط الضوء أيضا على تعريف الأمم المتحدة، وكذا على التعريفات الأكاديمية التي سنتطرّق إليها.

2.2القصور الأكاديمي في تعريف الإرهاب:

تشهد المحاولات الأكاديمية في تقديم تعريف للإرهاب، وتحديد دوافع ومسببات الظاهرة الإرهابية كذلك، تشهد قصورا هي الأخرى.

وقد يكون سبب ذلك أن مفهوم الإرهاب محمّل بالقيمة، ومتأثر بالآراء والأفكار الشخصية، ومثير للجدل، ومشحون عاطفيا (Berkouk, 2008). كما أن علم اجتماع الإرهاب لم يحظ بالدراسة اللازمة، ومن المحاور التي تبنى عليها الدراسات الاجتماعية للإرهاب، يذكر أوستين تيرك "البناء الاجتماعي للإرهاب"، و"دراسة الإرهاب باعتباره "عنفا سياسيا"، ودراسة الإرهاب باعتباره "عملية اتصال" (Turk, 2004).

من جهته، يُرجع بوركالتر التعثر في تعريف الإرهاب إلى عوائق، من بينها نقص البيانات والدراسات الكمية في البحث الأكاديمي (الراجع أساسا إلى طبيعة النشاطات الإرهابية) وأيضا صعوبة ضمان الحيادية والموضوعية، حيث يعتبر بوركالتر أول مشكلة رئيسية يواجهها تعريف الإرهاب تتعلق بذاتية التعريفات (Burkhalter, 2016, pp. 18-19).

وإذا كان من البديهي القول إنه نادرًا ما يكون الحياد القيمي (la neutralité axiologique) النقي هو المعتاد، فإنه يمكن، مع ذلك، توظيف التعريفات الذاتية واستغلالها بشكل موجّه. ولكن من الصعب أيضًا تطبيق الحياد القيمي عندما يعتمد معنى الإرهاب على سياقه الزمني، مثله في ذلك مثل مفاهيم أخرى كالتنمية أو الدبلوماسية أو الديمقراطية. وبالتالي، فإن المصطلحات تتغير أحيانًا بشكل جذري بمرور الوقت. وتغير الدلالة هذا على مر العصور، بسبب تطور سياقنا الثقافي والتكنولوجي، يشكل عقبة أخرى مرتبطة بصعوبة الحياد والموضوعية (Burkhalter, 2016, pp. 18-19) .

في كتابه عن الإرهاب السياسي، درس شميد تواتر المصطلحات التي استخدمت في مختلف محاولات تعريف الظاهرة الإرهابية، وهو ما لخصه كالتالي:

جدول رقم 01: تواتر المصطلحات المستخدمة لتعريف الإرهاب

1	Violence, force عنف، قوة	% 83.5
2	سياسي	% 65
3	Fear, terror خوف، رعب	% 51
4	Threat تهديد	% 47
5	(آثار نفسية (بسيكولوجية	% 41.5
6	(Victim-target differentiation) التمايز بين الضحية والهدف	% 37.5
7	عمل هادف، مخطط، منهجي، منظم	% 32
8	طريقة (منهج) القتال، استراتيجية، تكتيك	% 30.5
9	خرق القواعد والقيود الإنسانية	% 30
10	الإكراه والابتزاز والتحريض على الامتثال	% 28
11	(إشهار (دعاية	% 21.5
12	تعسف، شخصية عشوائية غير شخصية؛ عدم التمييز	% 21
13	مدنيون، غير مقاتلين، محايدون، غرباء كضحايا	% 17.5
14	تخويف وتهديد	% 17
15	براءة الضحايا	% 15.5
16	جماعة، حركة، تنظيم باعتباره مرتكب الجريمة	% 14
17	الطابع الرمزي، الإظهار للآخرين	% 13.5
18	عدم القدرة على الحساب، العجز عن التنبؤ، عدم توقع حدوث العنف	9%
19	الطبيعة السرية والخفية	9%
20	التكرار ، الطابع المتسلسل للعنف	% 7
21	إجرامي	% 6
22	المطالب المقدمة من أطراف ثالثة	% 4

المصدر: (Schmid, 2011, p. 74)

وسعيا منه إلى تحديد مفهوم الإرهاب، أجرى ألكس شميد Schmid استبيانا على مائة دارس وخبير في المجال، لتحديد مفهوم الإرهاب. وتوصل شميد إلى وجود عناصر مشتركة في التعريفات التي قدمتها العينة محلّ الدراسة، وهي: أن الإرهاب مفهوم مجرّد بلا كنه محدّد، وأن التعريف المفرد للمصطلح لا يمكن أن يحصي استخداماته الممكن، وأن العديد من التعريفات تشترك في بعض العناصر، وأن معنى الإرهاب ينحصر عادة بين هدف وضحية.

3. الشكل الجديد للحروب في فترة ما بعد الحرب الباردة

1.3 مفهوم الحروب الجديدة "New wars"

تباينت الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالأمن حسب الإطار الفكري تبعا للنظرية التي تم من خلالها النظر للمصطلح. فالتوسع الوظيفي لمفاهيم الخطر والأمن أخذ حيزا كبيرا من عمليات الدفاع التقليدي، وهي عمليات اتسمت بمظاهر منها أشكال العنف التي تمثل قلب السياسة الأمنية، وقد اتسع هذا العنف وتحول من الحروب بين الدول إلى أنماط مختلفة من الصراعات، كالحروب الأهلية، وحركات التمرد،

والإرهاب، وغيرها. وإلى جانب الإضرار بالناس، تشترك هذه الأشكال في تهديدها باحتكار القوة، ما دفع بالدول تفادي الفصل بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي (كبابي، 2012، صفحة 232).

في هذا السياق، ظهر مفهوم "الحروب الجديدة" لأول مرة في تسعينيات القرن الماضي، وكان ذلك إلى حد كبير كرد فعل للحرب الأهلية في يوغوسلافيا سابقا، وحروب مشابهة في أماكن أخرى، وكذا استجابة للصعوبة التي يواجهها المجتمع الدولي (القائم على الدولة) في معالجة مثل هذه النزاعات.

وُصف الفكر الإستراتيجي لكلّ من وليام ليند وتوماس هامز بأنه شكل شائع من تفكير "الحروب الجديدة"، ولكن ماري كالدور واحدة من أشهر باحثي هذا النوع من الحروب، وهي التي جادلت في كتابها "الحروب الجديدة والقديمة New and Old Wars" (1999) بأنه ظهر في التسعينيات من القرن الماضي نوع من العنف المنظم في أفريقيا وأوروبا الشرقية كان "جديدًا" من حيث الأهداف وأساليب الحرب (Sloan, 2012, p. 74).

حاولت كالدور بمقاربتها هذه تغيير الطريقة التي يفهم بها الدارسون وصانعو السياسات الحرب والصراع المعاصر. ففي سياق العولمة، أظهر هذا الكتاب أن ما نفكر فيه على أنه حرب - أي الحرب بين الدول التي تهدف إلى إلحاق أقصى درجات العنف - أصبح مفارقة تاريخية. ويحل محله نوع جديد من العنف المنظم أو "الحروب الجديدة"، والتي يمكن وصفها بأنها مزيج من الحرب والجريمة المنظمة والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان. والجهات الفاعلة في هذا النوع من الحروب يمكن أن تكون عالمية ومحلية، عامة وخاصة. كما تخاض الحروب من أجل أهداف سياسية خاصة باستخدام تكتيكات الإرهاب وزعزعة الاستقرار (Kaldor, 2012) التي تحظرها قواعد الحرب الحديثة "نظريًا".

وتوضح كالدور كيف أدى التفكير القديم في الحرب في أفغانستان والعراق إلى تفاقم ما اتضح، من نواحٍ كثيرة، أنه حروب جديدة نموذجية - تتميز بسياسات الهوية (Kaldor, 2012, pp. 202-221)، وبدل الأهداف الجيوسياسية أو الأيديولوجية للحرب الباردة، تدور الحروب الجديدة حول "سياسات الهوية"، أو المطالبة بالسلطة على أساس وجود هوية قومية أو عشائرية أو دينية أو لغوية معينة. وتجادل كالدور بأن الحرب الجديدة تقترض من الحرب الثورية استراتيجية السيطرة على الأرض من خلال السيطرة السياسية بدلاً من الاستيلاء على الأراضي من قوات العدو، وهي مهمة أسهل إلى حد ما في حالة الحروب الجديدة، لأن السلطة المركزية ضعيفة أو غير موجودة. ويسير هيرفريد مونكلر في ذات الاتجاه، إذ يعتبر أن القوة في مثل هذه الحروب لا تكون موجهة أساسًا ضد القوات المسلحة للعدو وإنما ضد السكان المدنيين، كما أن القتال قد يندلع في أي مكان، ولا معركة حاسمة مثلما نجده في الحرب بين الدول، بل تتضمن إدارة الحرب هجمات مباشرة باستخدام تكتيكات إرهابية (Sloan, 2012, p. 75).

ويجدر بنا أن نفرّق بين مفهوم "الحروب الجديدة" ومفاهيم أخرى مشابهة، نذكر منها على سبيل المثال "الحرب الهجينة"، التي يعرّفها فرانك هوفمان Frank Hoffman على أنها خليطٌ من الوسائل التقليدية وغير النظامية في سبيل تحقيق الأغراض السياسية. أما "التهديدات الهجينة" فيستخدم هوفمان بشأنها تعريفاً فيه إبرازٌ لخليطٍ من التكتيكات: "أيّ خصمٍ يستخدم في آنٍ واحد، خليطاً مضبوطاً من

الأسلحة التقليدية، والتكتيكات غير النظامية، والإرهاب، والسلوك الإجراميّ، في الوقت نفسه وفي فضاء المعركة نفسه للحصول على أغراضه السياسية" (رادن، 2017، صفحة 5).

ومن المفاهيم المشابهة أيضا "الحرب من النوع الثالث Wars of the Third Kind"، التي تخاض عادة في دول "العالم الثالث"، وتعتمد بشدة على حرب العصابات. وهذا المفهوم أكثر دقة من مفهوم «النزاعات قليلة الحدة»، كون هذه الأخيرة عبارة تخفف ما يمكن أن يكون نزاعاً مسلحاً شديد الوطأة. والحروب من النوع الثالث لا تكون في أغلب الأحيان نزاعات بين الدول بشكل حصري، ولا محصورة ضمن نطاق حدود إقليمية قائمة. ومتى أضرمت نار هذه الحروب يصعب إخمادها نهائياً، لسهولة الحصول على الأسلحة، وتفتت الدولة. ومن العوامل المساعدة عليها الإرث الاستعماري، والتدخل الأجنبي، والفقر وتراجع التنمية.

كما يشبه مفهوم "الحروب الجديدة" مفهوما آخر هو "حروب الجيل الرابع"، والذي ظهر إثره ما يسمى "حروب الجيل الخامس".

2.3 حروب الجيلين الرابع والخامس

تعتبر رؤية فان كريفلد غير الثالوثية Trinitarian للعالم أساسية بالنسبة للجيل الرابع من الحروب (GW4)، (والمقصود هنا مقاربة كلاوزفيتز للحرب، التي باعتبار أنها ظاهرة شاملة، فإن ميولها المهيمنة تجعل الحرب دائمًا ثالوثًا يتكون من العنف البدائي والكراهية والعداوة). والجيل الرابع من الحرب مفهوم يُعزى إلى مقالة مراجعة عسكرية عام 1989 كتبها ويليام ليند William S. Lind وأربعة ضباط عسكريين أمريكيين. حينذاك، جادل ليند بأنه على مدار التاريخ الحديث، مرت التطورات التي شهدتها الحرب عبر ثلاثة "أجيال" متميزة من التطور العسكري (Sloan, 2012, p. 72).

كانت الأجيال الثلاثة الأولى تتعلق بالجيوش والدول وفق مقاربة كلاوزفيتز ، وشملت تكتيكات الجيل الأول خطوط المشاة والتشكيلات في شكل أعمدة، قبل انتقال الجيل الثاني إلى النيران غير المباشرة، حيث حلت قوة النيران الحاشدة من المدفعية محل القوى البشرية، ولكن حيث ظلت التكتيكات خطية بشكل أساسي؛ وحرب المناورة غير الخطية للجيل الثالث، والتي ظهرت بشكل ملحوظ خلال الحرب العالمية الثانية، (Sloan, 2012, p. 72)، مع ضرورة الإشارة إلى أن هذه الأجيال لا تحل محل بعضها البعض بل تتداخل.

ثم اقترح ليند مفهوم "حروب الجيل الرابع"، ويتعلق الأمر بحروب تقوم بها كيانات غير حكومية (مثل التنظيمات الإرهابية)، وحتى وإن كانت مميزاتها موجودة في الأجيال السابقة إلا أنها لم تكن بذات الحدّة في حروب الجيل الرابع. وهناك من يعتبر أن مفهوم حرب الجيل الرابع أحدث، في العقود الخمسة إلى الستة الماضية، التغيير الأكثر جذرية [للحرب] منذ صلح وستفاليا، من خلال إدخال جهات فاعلة غير حكومية وحرمان الدولة من احتكار اللعبة (Qureshi, 2019, p. 190).

وإذا كانت حروب الجيل الرابع تقتصر عند ليند على هيمنة الجهات الفاعلة غير الحكومية وتكتيكات الحرب غير المتكافئة، فإن نوفي Nofi وهامز Hammes يذهبان أبعد من ذلك بالحديث عن الاعتماد على استراتيجيات سياسية، واقتصادية، واجتماعية للحرب كجزء من هذا الجيل من الحروب. وفي هذا الصدد،

يقارن هامز بين حرب العصابات في السابق (على الطريقة الماوية) وحرب الجيل الرابع، ويعتبر أن هذه الأخيرة أسقطت إلى حد كبير الجانب السكاني، إذ أن الإنترنت والاتصالات المعولمة أكثر فعالية من التغطية التلفزيونية، كما أنه لا يتمّ اعتماد المنظمات الهرمية الموحدة التي طورها الصينيون والفيتناميون في أوائل ومنتصف القرن العشرين. بدلاً من ذلك، هناك تحول عالمي إلى المنظمات الشبكية، التي تعمل، في معظمها، في الفضاء السيبراني. في النهاية، فإن حرب الجيل الرابع حسب هامز لا تحاول الانتصار بهزيمة القوات العسكرية للعدو، بل "تستخدم جميع الشبكات المتاحة - السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية - لإقناع صانعي القرار السياسي للعدو بأن أهدافهم الاستراتيجية إما غير قابلة للتحقيق أو مكلفة للغاية بالنسبة للفائدة المتصورة" (Sloan, 2012, p. 73).

ويمكن تلخيص خصوصيات حرب الجيل الرابع (خوري، 2016، الصفحات 47-65) في أنها:

- تكون في شكل مواجهة بين دولة (أو أكثر) وفاعل غير حكومي (لا يحمل شرعية الدولة).
- رفض المعركة التي يحاول العدو الاستدراج إليها، وعدم المواجهة إلا حين التأكد من شروط النجاح.
- عمليات حروب الجيل الرابع عابرة لحدود الدول.
- الاستمرارية: بمعنى أنها قد تستمر إلى أمد غير محدد.
- تطوّر دور الإعلام، مع حاجة جميع المتنازعين إلى حشد التأييد الشعبي.
- تطوّر الأدوات التكنولوجية، وما تنامي دور الإعلام إلا واجهة لتطوّر التقنيات الحديثة.
- عولمة هذا النوع من الحروب: فالإرهاب مثلا تحوّل إلى ظاهرة دولية.

بالمقابل، تقدّم حروب الجيل الخامس على أنها "معركة إدراك وتصورات". وقد حاولت الأدبيات التي ارتبطت بدراسة هذا الجيل الجديد من الحرب الوصول إلى تحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف عبر مجموعة من المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية مع تجنب أو تقليل الأعمال الانتقامية الهجومية أو الدفاعية، بمعنى أنها معركة التصورات والمعلومات بحيث لا تدرك الضحية أنها تخسر الحرب (Qureshi, 2019, p. 209).

كما أن حرب الجيل الخامس حرب ثقافية وأخلاقية، تستغل الرموز الثقافية والمشاعر الدينية لهزيمة الخصم، وتجمع بين "غضب الناس" و "عقلانية الدولة" لتشكيل نتيجة مقصودة للحرب، مما يجعل القيادة العسكرية (المستهدفة) غير مجدية. وبدلا من ممارسة القوة الصلبة والتدخل المادي المباشر ، فإن المعلومات من خلال الشبكات والمراقبة تتلاعب وتستغل التصورات العامة للجمهور، وهو ما يصفه صن تزو بـ"ذروة المهارة" أي الانتصار بدون قتال (Qureshi, 2019, p. 210).

3.3 خوصصة الحرب

ومن سمات الحروب في فترة ما بعد الحرب الباردة، نجد كذلك تنامي خوصصة العمليات العسكرية بمختلف أشكالها وقطاعاتها، ويظهر في الواجهة ما يسمّى منذ القدم بـ"المرتزقة".

يُعرف عن المرتزقة عادة أنهم أشخاص من خارج البلاد، تم توظيفهم للاشتراك مباشرة في النزاعات المسلحة بدافع كسب المال وليس ولاء للأمة - الدولة. ويجدر التمييز بين أربعة أنواع مختلفة من المرتزقة: أولا، المرتزقة التقليديون الذين يسعون خلف الربح أو المغامرة. ثانيا، مجموعات عسكرية صغيرة تعمل لحساب حكومة مضيفة، فتوفّر الأمن في منطقة معينة، ثالثا، مجموعات إيديولوجية تعمل خارج حدود الوطن، تسوقهم إيديولوجيا معينة، أو دين معين. ورابعا وأخيراً، يظهر التطور الأكثر حداثة في تطور منظمات المرتزقة إلى شركات ذات هيكلية داخلية مشابهة لهيكلية الشركات المتعددة الجنسيات (غريفيثس و أوكالاهان، 2008، الصفحات 376-377).

ويمكن اعتبار عودة ظهور الجيوش الخاصة بتوجه أوسع نطاقا في العلاقات الدولية، نذيرا بظهور "القروسطية الجديدة"، ففي النظام العالمي الوستفالي تحتكر الدول القوة و"الاستخدام الشرعي للعنف". (ماكفيت، 2016، صفحة 275) وهذا لا يعني اختفاء الدول، وإنما تراجع هيمنتها وتزايد منافستها مع الجهات الفاعلة الأخرى، كالمنظمة الأممية والمنظمات غير الحكومية، والشركات متعددة الجنسيات، والمجموعات الدينية والعرقية المسيّسة، والتنظيمات الإرهابية، والمنظمات الإجرامية عبر الوطنية.

كما أن لخوصصة الحرب سلبياتها، التي نذكر منها أن الخدمات العسكرية الجاهزة عند الطلب تقلل العوائق التي تحول دون نشوب الحرب، وتوسيع دائرته بغية تحقيق مكاسبة أكبر، وهو خطر أخلاقي متجذر في الحروب الربحية. من جهة أخرى، فإنه بإمكان عرض الخدمات العسكرية خلق الطلب بتقديم تكتيكات وتقنيات جديدة، وكذا بالسلب والابتزاز. وقد نرى الشركات العسكرية الخاصة تقود حروبها بطائرات الدرون والهجمات الإلكترونية، خصوصا مع سهولة الحصول، نسبيا، على التكنولوجيا العسكرية (ماكفيت، 2016، صفحة 276).

4. التفاعل بين الإرهاب والحروب الجديدة

1.4 الأمننة الشاملة والحرب على الإرهاب

يمكن القول إن ما يجمع بين الظاهرة الإرهابية والخطاب السياسي هو أن كلاهما، بطريقة أو بأخرى، عملية اتصالية. وكما أن اللغة إحدى ركائز الخطاب السياسي، فهي ليست مجرّد وسيلة للتواصل، بل قد تصنع السلم والحرب، والأمن واللاأمن، باعتبار أن للكلمات أثرا يشبه/يماثل أثر الأفعال.

ومن المقاربات النظرية في هذا الصدد نذكر مقاربة "الأمننة" لمدرسة كوبنهاغن، التي اعتمدت بشكل كبير على نظرية أفعال الكلام لدى جون أوستين. بالنسبة إلى باري بوزان، فإن الأمننة securitization تكون عبر عملية خطابية، تستدلّ بوجود تهديد يمس البقاء لمرجعية أمنية قد تكون الفرد أو الجماعة أو الدولة، وتسمى هذه العملية "مسار الأمننة". ويهدف ذلك إلى شرعنة اللجوء إلى ترتيبات استثنائية تهدف إلى تأمين المرجعية محلّ التهديد، وهو على سبيل المثال ما حدث بإعلان الحرب على الإرهاب، وما ترتب عنه من "خروقات" للحريات الفردية، على سبيل إمكانية الاطلاع على المراسلات الإلكترونية الشخصية والمكالمات الهاتفية الخاصة، وما إلى ذلك من تدابير أمنية "وقائية".

وفي هذا السياق، يرى عدد من الدارسين أن أحداث 11 سبتمبر 2001 أنهت "مشكلة العجز التهديدي" الذي عانت منه الولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة، وأن هذه الهجمات، التي تبعها ما عرف بـ"الحرب على الإرهاب"، وفرت أمننة مهيمنة ركزت عليها الإدارة الأمريكية في السياستين الخارجية والعسكرية، وذلك لتجسيد ما يعرف بـ"الأمننة من المنظور الأمريكي"، وهو ما يطلق عليه باري بوزان اسم "الأمننة الشاملة أو الكلية".

ولعلّ خطاب أمننة الإرهاب، وتوظيفه لهذا المفهوم، هو ما جعلنا، في مطلع المقال، تركّز على إشكالية تعريف الإرهاب، حيث إن القصور الواضح في تعريفه من شأنه أن يكون سببا أقوى في توظيفه.

على غرار بعض العبارات الأخرى، فإن مصطلح "إرهاب" يتّسم بنوع من التضخّم في الاستعمال والتوظيف، يبدو أنه تضخم غير بريء: حيث هناك رهانات سياسية جلية تختبئ وراء قرار تصنيف فعل ما إرهابيا دون أفعال أخرى. ;الأمثلة على مثل هذا التوظيف السياسي كثيرة، منها دعوة الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى "حرب عالمية ضد الإرهاب" تبدو في ظاهرها دعوة إلى تضافر الجهود لتجنب 11 سبتمبر في المستقبل، ولكنها تحمل أيضا خطاب حرب حيث تأتي كلمة "الإرهاب" لتشمل أشكالاً من العنف تندرج تحت وصف آخر، كما يستحيل أن إطلاق المصطلح نفسه على "الأعمال العسكرية الفلسطينية ضد جيش الاحتلال هو ممارسة للسياسة، وليس لعلم السياسية".(Mellon, 2005)

من جهة أخرى، فإنه لولا خطاب الأمننة، لما أمكن المضي في ما يسمى "الحرب على الإرهاب"، خصوصا مع وجود من يعتبر أن أهمية أحداث 11 سبتمبر "قد تم المبالغة فيها، وأن الإرهاب الذي يمتد على نطاق عالمي يُنظر إليه بشكل أفضل على أنه نتيجة لتغيرات أخرى أكثر جوهرية. (Guelke، 2006)

2.4 مؤشرات العلاقة بين الإرهاب والحروب الجديدة

في إطار العلاقة بين الحرب والإرهاب، نشير إلى أن الإضافة الأهم للفكر الاستراتيجي التي جاء بها ليند، وما تزال موظفة إلى الآن، هو رؤيته للحرب المستقبلية، التي أطلق عليها حروب الجيل الرابع. ويتعلق الأمر بحروب تقوم بها كيانات غير حكومية (مثل التنظيمات الإرهابية)، وتمتاز بميزتين على الأقل كانتا موجودة في الأجيال السابقة ولكن ليس بهذه الحدّة، أولاهما تحويل التركيز من مقدمة العدو إلى مؤخرته، بمعنى تجاوز جيش العدو كليًا وتوجيه ضربات مباشرة إلى وطنه، أي على أهداف مدنية. وثانيهما استخدام قوة العدو ضده، فمثلا يستخدم الإرهابيون حرية المجتمع الحر وانفتاحه، وأعظم نقاط قوته ضده. يمكنهم التحرك بحرية داخل مجتمعنا، بينما يعملون بنشاط لتخريبه"، حسب تعبير ليند.(Sloan, 2012, p. 72).

وهكذا فإنه، في فترة ما بعد الحرب الباردة، أصبح الحدّ بين الحرب والسلم أقل وضوحا، وربما كان استمرار هذا الإبهام مقصودا، فحتى وإن سبق لكلاوزفيتز أن اعتبر بأن الحرب استمرار للسياسة لكن بأدوات أخرى، إلا أن الملاحظ في الحروب الجديدة هو أن جعل العمل العسكري أداة سياسية دائمة الاستعمال يستدعي من "المتمردين" والفاعلين غير الدوليين أن يتصرفوا بالشكل نفسه، أي بمزيج من النشاطين السياسي والعسكري. (خوري، 2016، صفحة 240)

شكل رقم 01: الوفيات بسبب الإرهاب في النزاعات

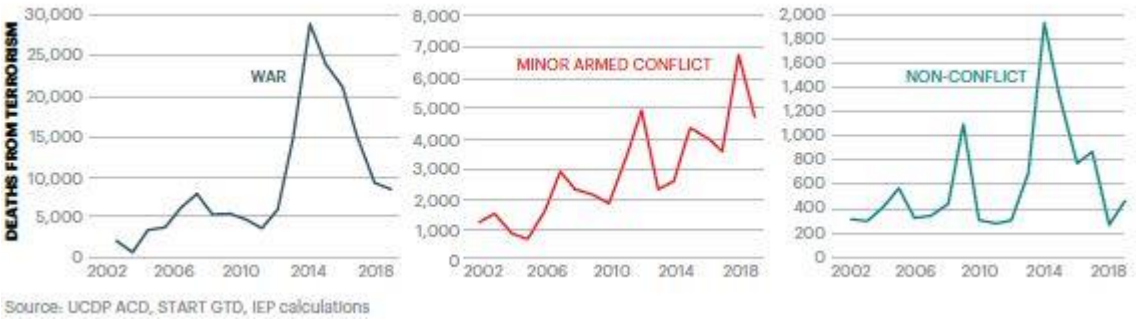

المصدر:(Global Terrorism Index, 2020, p. 41)

يوضح الشكل 01 اتجاه الوفيات بسبب الإرهاب حسب نوع النزاع. خلال ذروة النشاط الإرهابي في عام 2014، حدثت معظم الوفيات الناجمة عن الإرهاب في مناطق الحروب، أي البلدان التي سجلت أكثر من ألف حالة وفاة بسبب الصراع في عام واحد. ومع ذلك، منذ أن بلغ ذروته في عام 2014، انخفض عدد الوفيات الناجمة عن الإرهاب في مناطق الحرب بنسبة 70 في المائة.

وبالمثل، انخفضت الوفيات الناجمة عن الإرهاب في البلدان التي لم تشهد نزاعات بشكل مطرد منذ أن بلغت ذروتها في عام 2014، بنسبة 74 في المائة. ومع ذلك، كانت هناك زيادة طفيفة في عام 2019 بسبب الهجمات في نيوزيلندا وسريلانكا. كان هناك تذبذب في وفيات الإرهاب في البلدان المشاركة في نزاع مسلح طفيف، حيث كان هناك ما بين 25 و 1000 حالة وفاة مرتبطة بالمعركة في عام واحد.

على الرغم من انخفاض الوفيات الناجمة عن الإرهاب في البلدان التي تشهد نزاعات مسلحة طفيفة بنسبة 30 في المائة في عام 2019، إلا أن الوفيات الناجمة عن الإرهاب ما تزال أعلى بثلاث مرات مما كانت عليه في عام 2002، مما يمثل التهديد المتزايد للإرهاب "متوسط الكثافة".

شكل رقم 01: الوفيات بسبب الوفيات والنزاعات

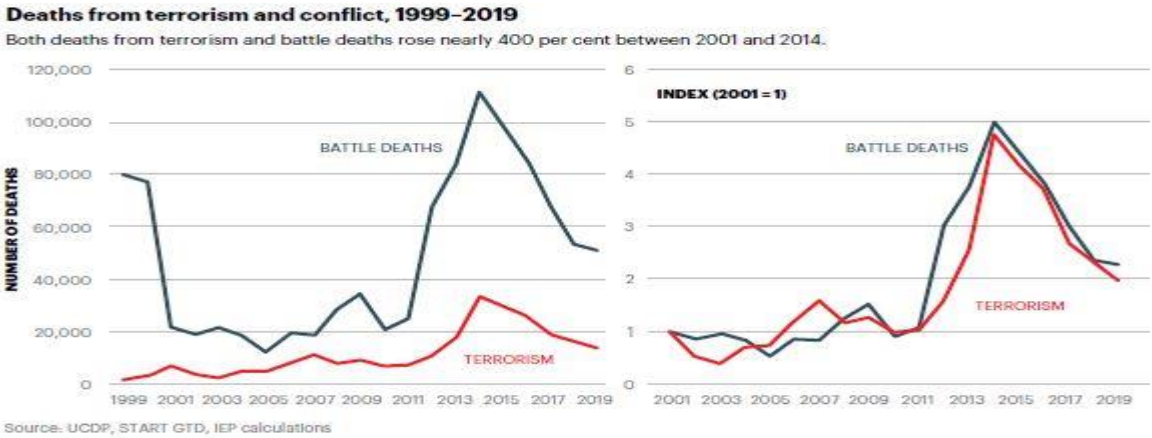

المصدر:(Global Terrorism Index, 2020, p. 42)

وكما هو مبين في الشكل 2، تميل الوفيات الناجمة عن النزاع والوفيات الناجمة عن الإرهاب إلى التحرك جنبًا إلى جنب. شهد العقد الماضي زيادة كبيرة في مستوى الصراع وتأثير الإرهاب في جميع أنحاء العالم. في عام 2014، وصلت الوفيات المرتبطة بالمعركة إلى أعلى مستوى لها منذ 25 عامًا، بينما وصلت الوفيات الناجمة عن الإرهاب إلى أعلى مستوى لها منذ أن بدأ المصدر في جمع البيانات. في حين أن العدد الإجمالي للقتلى بسبب الإرهاب أقل بكثير من العدد الإجمالي لقتلى المعارك، فإن النسبة المئوية للتغير في كليهما كانت متشابهة للغاية، لا سيما من عام 2011 فصاعدًا.

وفي كثير من الأحيان في ما يسمى "الدول الفاشلة"، وبالمقابل، يمكن لجهات أجنبية أن تغذي النشاطات الإرهابية، وتوفر لها الدعم اللوجيستي، وهذا ليس ضربا من الخيال، خاصة وأن له سوابق في التاريخ. أما توظيف التنظيمات الإرهابية للتكنولوجيا الحديثة، ووسائل التواصل وما يعرف بالإعلام الجديد، سواء من أجل البروباغندا أو نشر الأخبار الكاذبة، أو حتى من أجل التجنيد، فهذا، كما سبق وأن رأينا، يمكن أن يندرج ضمن حروب الجيل الخامس.

الخاتمة:

رأينا في هذا المقال كيف أن القصور لأسباب سياسية يعتبر واحدا من أهم العوائق أمام اقتراح تعريف متفق عليه للإرهاب، وسواء كان هذا القصور متعمّدا أو لا، فإن الدارس لهذه الظاهرة يلاحظ نتائجه بشكل مطّرد، حيث يكاد يغيب الإجماع لا بين مختلف الدول فحسب، بل داخل الدولة الواحدة.

كما رأينا أن الجهد الأكاديمي في هذا الصدد يعرف قصورا هو الآخر، وقد ركزنا على إشكالية تعريف الإرهاب، وعدم الوصول إلى إجماع حول، لأن هذه الإشكالية هي التي تفتح الباب مشرعا أمام توظيف هذا المفهوم فيما يعرف بالحروب الجديدة، وحروب الجيل الرابع، والجيل الخامس.

هذه الحروب التي تميز فترة ما بعد الحرب الباردة، وتمتاز بدور الفواعل غير الدوليين، ما يعتبر خروجا عن منظومة كلاوزفيتز التي اعتادها رواد الفكر الاستراتيجي. ولعل خير دليل على ذلك، هو منطق حروب الجيل الرابع، التي تمتاز بتحويل التركيز من مقدمة العدو إلى مؤخرته، أي أنها تتجاوز جيش العدو كليًا وتوجيه ضربات مباشرة إلى وطنه، وبالضبط على أهداف مدنية. كما تمتاز هذه الحروب باستخدام قوة العدو ضده، كاستعمال الربط الكبير بتكنولوجيا المعلومات مثلا.

من هنا، يتبين لنا أن أجيال الحروب الجديدة أيضا استفادت من "الاحتكاك" بالظاهرة الإرهابية، فطورت من استراتيجياتها وتكتيكاتها وتدابيرها العملياتية، وأكثر من ذلك سعت إلى توظيف الإرهابيين، دائما في ذات المبدأ: "استخدام قوة العدو ضده".

في الأخير، وجب علينا أن نتنبّه إلى أن التعامل مع التنظيمات الإرهابية لن يكون أبدا كما في السابق، خاصة بعد أن اتضح أن لهذه الأخيرة تكتيكاتها ورؤيتها الاستراتيجية (بالمنظور العسكري) الخاصة، التي تستفيد كما قلنا، من هذه العلاقة التفاعلية الموجودة بين الظاهرة الإرهابية من جهة، والحروب، خاصة الجديدة منها، من جهة أخرى.

المراجع باللغة العربية:

إميل خوري. (2016). *صراعات الجيل الخامس*. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

أندرو رادن. (2017). *الحرب الهجينة في منطقة البلطيق: التهديدات والاستجابات المحتملة*. كاليفورنيا: RAND.

شون ماكفيت. (2016). *المرتزقة الجدد: الجيوش الخاصة وما تعنيه للنظام الدولي*. (إبراهيم البيلي محروس، أحمد مكي زيدان، المترجمون) بيروت: مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث.

صليحة كبابي. (2012). الدراسات الأمنية بين الاتجاهين التقليدي والحديث. *مجلة العلوم الإنسانية*(38).

علاء الدين راشد. (2006). *المشكلة في تعريف الإرهاب*. دار النهضة العربية.

مارتن غريفيثس، و تيري أوكالاهان. (2008). *المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية*. (مركز الخليج للأبحاث، المترجمون) دبي: مركز الخليج للأبحاث.

المراجع الأجنبية:

Adrian Guelke .(2006) .*Terrorism and global disorder: political violence in the contemporary world* . London, New York : I.B.Tauris.

Adrien Burkhalter .(2016) .*Définir le Terrorisme: Défis et Pratiques* .Genève: Geneva Centre for Security Policy.

Berkouk, M. (2008). Terrorism, an Etymo-Epistemological Analysis. In W. Okumu, & A. Botha, *Understanding Terrorism in Africa: Building Bridges and Overcoming the Gapes.* Pretoria.

Global Terrorism Index .(2020) .*Global Terrorism Index* .Institute for Economics & Peace.

Kaldor, M. (2012). *New and Old Wars Organised Violence in a Global Era* (3rd edition ed.). Cambridge: Polity.

Mellon, C. (2005). Terrorisme : condamner, expliquer, résister vol. *Études, 403*(11), 487-496.

Qureshi, W. A. (2019). Fourth- and Fifth-Generation Warfare: Technology and Perceptions. *SAN DIEGO INTERNATIONAL LAW JOURNAL*.

Schmid, A. P. (2011). *The Routledge Handbook of Terrorism Research.* New York: Routledge.

Sloan, E. C. (2012). *Modern Military Strategy An introduction.* New Yor: Routledge.

Turk, A. T. (2004). Sociology of Terrorism. *Annual Review of Sociology, 30*.